النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٢٩ (و١٦ ش) تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

حكاية حال

الزوجة كل ما تفضلت به من الوعيد والتهديد لا يهمني لاني مُصرَّةٌ على الذهاب ولست بحائلة عن عزمي رضيت ام لم ترضَ

زوجها ويحكِ يا ادما أَوَ تقاوميني وانا زوجك ووليُّ امركِ فما هذه القحة والجسارة وما هذا الاصرار والعناد !

الزوجة لم يخطر قط في بالي مقاومتك يا ادمون غير ان تصرفك وكلامك يحملاني عَلَى ذلك بالرغم عما انا منطوية عليهِ من الاحساسات ومعرفة الواجبات الزوجية ... وها اني داخلة الى مخدعي لارتدي

ثيابي الاحتفالية وأَمضي علَى عزمي ولو كان ذلك منافياً لارادتي الخاصة

ولما انصرفت ادما من امامه وقف كالمبهوت وقد بدت علَى وجهه امائر الغم والغضب . وذلك لانهُ كان من اولئك الرجال الذين يعتبرون طاعة الزوجة وانقيادها مبداءً اساسياً في المعاملات الزوجية و يوءثرونهما على ما سوى ذلك من الاخلاق والعادات . و بينا هو كذلك عادت زوجتهُ وهي ترفل باثوابها الانيقة فابتدرها بكلام الجفاء قائلاً اغربي عني وانطلقي الى حيث شئتِ وحدكِ وانعمي بالاً وقري عيناً . اما هي فاجابتهُ نعم سانطلق وحدي لانك انت هكذا تريد وساكون منشرحة الخاطر جداً . ثم ساد الصمت بين الزوجين وقد وقف كلٌّ منهما يناجي نفسهُ و يلومها على استرسالها في الغضب مع ان السبب طفيف جداً لا يكاد يُذكر . وذلك ان الزوجين دُعيا لحضور ليلة رقص ومخاصرة في منزل الخواجات عامر (في بيروت) فسرَّت الزوجة وارادت تلبية هذه الدعوة بيدَ ان زوجها أَبى عليها ذلك لغير سبب موجب و بدلاً من حملها علَى الاقلاع عن الحضور بكلام اللين والمحبة كما هو شأن المحب الصادق صدَّها بكل قسوة وجفاء . وبهذه المعاملة انما اثار غضبها و كبرياءها فقاومتهُ هي بثبات جاشها واصرارها وعاملتهُ كما عاملها . ولكنها ما عتمت ان سكن جاشها فرنت اليه بلطف ودعة وقالت والان افلا تزال على اصرارك ؟

قال نعم فلست بذاهب

قالت ولكن هذه الليلة ستكون من ابهج الليالي طرباً وغبطة لان اكثر المدعوين اليها من اصدقائنا ومعارفنا فلا تحرمني لذة الاجتماع بهم ولا تكن عنيداً

فحدجها ادمون بنظرة ازدراء وقال لا كانت المراقص ولا كانت ليالي الطرب. وقد قلت لك اني لا اريد فلا تطمعي ولا تمني نفسكِ بالمحال ولستُ براجع عن قولي وانتِ بعد ذلك وما تختارين

ولم يكن كلام ادمون الاَّ باعثاً عَلَى شدة اصرار ادما على حضور تلك السهرة. ولذلك اجابتهُ وهي مقطبة الوجه وانا ايضاً لست براجعة عن عزمي فافعل ما ترى

فتقبض ادمون وازداد اشتعالاً وقال لها انت وِشانك وِانا وشاني ثم استدعى خادمهُ وامرهُ ان يكتري لهُ عربة. وولج بعد ذلك مخدعهُ وهو هائج من شدة الغضب

فاستوقفتهُ زوجتهُ بقولها الظاهر انك تريد ان تغادرني بالسلامة فلا باس. غير اني اسألك عن وِجهتك لاكون على بصيرة في امر ما يرد باسمك من الرسائل

فوقف ادمون عَلَى عتبة باب مخدعه وارسل الى زوجتهِ نظراً حاداً ثم اجابها والغضب يقطع كلامه لا تزعجي نفسك ايتها السيدة بمثل هذا الامر لاني ساكلف الخادم بتتميم كل ما احتاج اليه

فلم تزد ادما عَلَى هذا بل انسابت الى مخدعها وجعلت تنشد وتتغنى كانها خالية البال . ثم جلست على مقعد هناك واخذت تتأمل فيما صارت اليه حالتها مع زوجها وما ابطأَت ان اغرورقت عيناهـا بالدموع وخاطبت نفسها قائلة «هنا هو مزمع ان يتركني وشاني قبل ان يتمَّ الشهر السادس لقراننا . فما هذه الحالة المزعجة يا رباه . . .» ثم استدعت خادمتها لتسليتها

اما زوجها فلم يكن اقلَّ اضطراباً منها بل كان كمن لسعتهُ افعى وما أَبطأ ان شعر بوخز ضميره وصار يلوم نفسه تارةً لمبادهته زوجتهُ بذاك الكلام القاسي واللهجة الشديدة وطوراً لاستسلامه للحمق والغضب وقد ندم على ما فرط منه . غير انهُ صمم على مغادرة المنزل ولو يوماً واحداً رغبة في تنفيذ كلامهِ . ثم اخذ يفتكر فيما عساه ان يفعل والى اي مكان يقصد . واخيراً عزم عَلَى ان يشخص الى قرية صوفر فقام وجهز لوازمه وخرج من مخدعهِ يريد الانصراف فسمع زوجته تغني بصوت ارخم من النسيم واعذب من شدو البلبل فتبسم تبسماً يشف عن كمدٍ باطن ثم تنهد واضطرب وقد اعتقد انها تريد بغنائها ان تزيد في غضبهِ وهياجه . ولما خرج من المنزل رأى العربة بانتظاره فأَمر خادمه ان يبعث بالرسائل التي ترد باسمه الى قرية صوفر الى الفندق الكبير فيها ثم ركب وسار قاصداً المحطة ومنها ركب القطار الحديدي فاقلهُ الى حيث شاء

اما الخادم فعقيب ان شيع سيده عاد الى المنزل وهو يهزُّ راسه ويقول في نفسه (لعمري ليس احد مرتاحاً في هذه الدنيا الغرور . .) وان هو لكذلك اذ اقبلت عليه الخادمة وهي تقول ان سيدتي قد نسيت اسم الفندق الذي توجَّه اليه سيدي فجئتك بامرها مستنبئة عنهُ لانهُ يهمها كما لا يخفى . ففرك الخادم جبينه وقال هو الفندق الكبير في قرية صوفر . فشكرتهُ ساره (اسم الخادمة) وعادت من حيث اتت . اما هو فندم عَلَى تصريحهِ وقال في نفسهِ (وما ادراك يا هذا اذا كان سيدك يريد افشاء هذا الامر ؟ والاَّ لما اناطهُ بك دون سواك . . .) ثم دخل غرفته كئيباً

. . .

اما ادمون فبعد بضع ساعات وصل الى قرية صوفر . فنزل من القطار وسار الى الفندق المنوَّه به حيث اتخذ لنفسهِ حجرة يقضي فيها بضعة ايام . وبعد ان استراح قليلاً خرج الى ردهة الجلوس التماساً للتسلية . فلم يرَ هناك الاَّ سيدةً طاعنة في السن جلست عَلَى مقعد في احد جوانب الردهة وبيدها جريدة تطالعها : فحياها وجلس بازائها وهو متعجب لخلو المكان من الزوَّار وبعد بضع ثوانٍ دخل واياها عباب الحديث فسألها عهدي بهذا الفندق ان يظل غاصاً بجماهير الزوَّار في مثل هذه الآونة فما بالهُ اليوم خاوياً خالياً

فاجابتهُ اجل وقد كان فيهِ اليوم خلق كثير غير انهم سافروا

كلهم في هذا الصباح الى بيروت ولم يعد منهم احد فلعلهم خافوا المطر لان السماء كما ترى متلبدة بغيوم كثيفة تنذر بنزول الامطار الغزيرة

وكأنَّ السماء ارادت في هذه اللحظة ان تؤيد صدق قول السيدة المذكورة فارعدت وابرقت وجادت عَلَى الارض بمطر هتان لم ينقطع كل تلك الليلة · فانقبض ادمون في داخله وجلس صامتاً يفكر في حوادثه وقد تمثلت امامه زوجتهُ بجمالها الرائع وقدها الفتان فندم عَلَى عمله ثم قام لوقته واوى الى غرفته لينام غير انهُ ما كاد يضطجع في السرير المعد له حتى عاد الى التفكر في امره وقد غرق في بحر تأملاته الى ما بعد منتصف الليل وفي ضحى اليوم التالي قام فارتدى ثيابه وسال كاتب الفندق — الم يحضر احد الى الفندق في هذا الصباح ؟ فاجابهُ الكاتب — كلا يا سيدي وانما وردنا اليوم رسالة برقية من بيروت مفادها ان سيدة تنوي الحضور الى فندقنا في هذا النهار وتطلب ان نهيء لها حجرة بسريرين

وكان ادمون قد ضجر الوحدة في الفندق ولذلك ابتهج لهذا الخبر وقال في نفسه (سنقضي اذاً الوقت بدون ملل بحضور هذه السيدة المجهولة) ثم خرج من الفندق واخذ يتجوَّل في ضواحي القرية راجياً ان يلهو عن اضطراب قلبه بمناظرها الطبيعية الجميلة · وكانت السماء لا تزال تنذر بامطار هائلة ومع هذا لم يرجع ادمون الى الفندق الاَّ مساءً فعرف ان

السيدة التي أخبر عنها في الصباح قد حضرت وانها في حجرتها. فللحال دخل ادمون الى حجرته فبدّل اثوابه ونظر في المرآة مليّاً ثم خرج الى ردهة الجلوس آملاً ان يلتقي هناك بالسيدة الجديدة فيجالسها ويقتلان الوقت معاً. ولما لم يرَ احداً في الردهة تناول جريدة من رزمة الجرائد الجديدة التي احضرها قطار ذلك النهار وجلس يقرأ بقصد التسلية والتفكّه. ولم يمضِ عليهِ بضع دقائق حتى ارتجف واكفهرَّ وجههُ ودمعت عيناه. وذلك انه قرأ في تلك الجريدة الخبر الآتي: (ليلة امس شبت النار في منزل الخواجات عامر حيث كانت مأدبة حافلة بجمهور من اصدقاء اصحاب المنزل وفيما كانت الموسيقى تصدح بأشجى انغامها والطرب آخذ من القوم كل مأخذ اندلعت السنة اللهيب في احد جوانب المنزل ولم تلبث ان امتدّت الى جميع اطرافهِ. وقد احترق في اثناء ذلك عشر سيدات من المدعوّات وبعضهنّ لم يُعرَف لحد الان نسبهنّ وأسرهنّ..)

فما كاد ادمون يتم قراءة هذه الكلمات حتى وثب واقفاً حيران وقد شعر بان الارض تهتزُّ تحت قدميهِ وتخيل ان حجارة البناء تتساقط على راسه فخرج من ردهة الجلوس وهو لا يدري ماذا يعمل. ولما آب اليه بعض الروع عاد ثانية فتناول جريدة اخرى من تلك الرزمة ليستثبت الخبر فوجده ثابتاً فيها ايضاً فاظلمت الدنيا في عينيه وتفتت فوءاده وزادت شجونه وهمومه حتى كاد يفقد رشده لان المنزل

المذكور هو نفس المنزل الذي دُعيت اليهِ زوجته ليلة امس وقد تكون هي من جملة السيدات اللاتي رحنَ طعاماً للنار بل جزم انها احترقت لا محالة وقد تمثل لهُ موتها باشنع صورة فأنّ وتوجع · ثم قام فولج حجرتهُ والزفرات تمزق صدره والعبرات تحرق وجنتيهِ · وجعل يخطر فيها ذهاباً واياباً وهو على غير هدى · ولم يلبث ان خاطب نفسه بهذا الكلام (تبًا لي ما اشد عتوّي واقسى قلبي ··· آه يا زوجتي العزيزة ! لقد ذهبتِ ضحية للنار بسببي انا التعس اوَ هكذا تكون عواقب الطيش والـ... ؟ ومن يوصلني الان الى هناك لاعرف الحقيقة ؟ · وما الذي منعك يا ادمون ان تكون بصحبة زوجتك في تلك الليلة المشؤومة فلعلك تكون قد انقذتها من سعير النار ! !)

وكان ضيق صدره يشتد فلم يستطع البقاء في غرفته فخرج منها واخذ يمشي كالمأخوذ في دار الفندق وهو يوسع الخطى ولا يرى شيئاً وفيما هو كذلك فُتح باب غرفة من الغرف المجاورة لغرفتهِ وخرجت منها فتاة وسُمع ثَمَّ صوت موجَّه للفتاة ما لهُ (لا تطيلي الغيبة يا ساره لاني بانتظارك) فجمد ادمون عند سماعه الصوت والاسم · فاما الصوت فلانهُ يحاكي صوت زوجته واما الاسم فلانهُ اسم جاريته فخفق قلبه وصار ينتفض كالعصفور · ولما لم يعد يستطيع صبراً هرول حالاً الى الغرفة المشار اليها وولجها بدون استئذان وحالما وطئها وقف كالمبهوت ولكنهُ لم يلبث ان ابرقت عيناه وسُرّي عنه · فاستوقفتهُ

السيدة التي كانت داخل الغرفة بقولها — اظنك مخطئاً في دخولك الى هنا ايها الخواجا !

اما ادمون فجثا عَلَى ركبتيه امامها والدموع تتساقط من عينيهِ وقال — الحمد لله عَلَى نجاتكِ يا عزيزتي من الموت الاحمر ... اغفري لي يا ادما وانسي ما مضى

فتبسمت السيدة التي دعاها بهذا الاسم وقالت انك قاسٍ يا ادمون لانك تركتني وحدي بين اليم الهواجس واشد المحن ولم ترحم ضعفي وتغتفر ذنبي

ولم تكن هذه المرأة الاَّ زوجته وهي لما رات ان زوجها يكاد يتلاشى من شدة الانفعال اردفت كلامها بما يأتي — واما انا فلم اذهب وحدي الى المرقص لانَّ عليَّ واجباً ادبياً لا سبيل الى التفادي منهُ الاَ وهو طاعتك والانقياد اليك وذلك أَحبُّ اليَّ من اعظم احتفالات العالم . وهكذا ظللت في البيت آسفة كئيبة ولولا غزارة الامطار لاجتمعتُ بك قبل الآن ...

وكان ادمون مسحوراً بعذوبة لفظها يشرب كلماتها شرب العطشان للماء الزلال فلما فرغت من كلامها قام اليها فطوَّق عنقها بذراعيه ثم تعانقا ملياً وتبادلا العهود الوثيقة عَلَى الحب الصادق والوفاء وعادا في اليوم التالي الى منزلها وقلباهما طافحان بالافراح

منثورات

من البريء

تشاجر رجل وامراته ورفعا الدعوى الى جارهما ليقضي فيما بينهما فحكم ان البريء منهما يصفح للآخر بزعمه انهُ هو البريء · وهكذا تصالحا في الحال

الروائح والصوت

عُلم ان للمواد العطرية تاثيراً مضراً على غشاء الحنجرة المخاطي بحيث يتعطل عمل اوتارها و يقل جلاء اصواتها واشد الزهور ضرراً البنفسج · ولا يخفى ان ذلك يهم المغنين والمغنيات وغيرهم من محبي الالحان والغناء وقد يحرمهم التطيُّب والتعطُّر

متوشالح ياباني

اكبر رجل في العالم سناً هو حسبما انبأت الجرائد اليابانية رجل ياباني اسمه كوزابورو فوغيماتسو المولود في ياماسكي من مقاطعة شيكوغو فعمره مئة وسبعون سنة وكان له سبعة بنين لم يبقَ منهم في قيد الحياة احد وله الان ثمانية عشر حفيداً وستة واربعون ولداً من ابناء حفدته ····

هيكل ذو خمسئمة اله

كان في بلاد الصين في مدينة صيوى بقرب البحيرة الغربية هيكل ذو خمسئمة اله ولكل اله صنم مختص به وهذه الاصنام مصطفة في الهيكل لاجل العبادة واصغرها بقدر قامة الانسان

لذّة العمل

من يلذ باعماله يجد الوقت قصيراً جداً ومن يتألم باعماله يجد اليوم شهراً والشهر قروناً فتعب العمل مع اللذة صحة ومع الالم مرض

ملك مقتصد

منذ بضع سنين ساح ليو بولد ملك البلجيك في بلاد نروج ولما وصل في اثناء هذه السياحة الى مدينة ستافاغر ارسل فاخبر صاحب احد فنادقها (لوكنداتها) انهُ يريد ان يتناول طعام الغداء عنده . فابتهج صاحب الفندق واهتم بذلك اهتماماً عظيماً طمعاً بنيل جائزة سنية من الملك لعلمهِ بان عطايا الملوك ملوك العطايا ولذلك اعلن بانهُ لا يوءذَن لاحد من الناس دخول الفندق في اثناء وجود الملك فيه واعد من الاطعمة الفاخرة ما يفوق الوصف . فسُرَّ الملك بذلك واثنى عليه ولما جاء دور المحاسبة ابرز لهُ الملك كتاب احدى شركات التسفير من ارخص الدرجات وطلب منهُ ان يخصم لهُ عشرة في المئة من القيمة المطلوبة منهُ كما يحق ذلك لكل سائح يسافر على مقتضى تعريفة الشركة المذكورة . فما اشد ما كانت دهشة صاحب الفندق لما رأى صفقتهُ

خاسرة بهذا المقدار ...

حدود المرأة

قيل ان سيدتين من الاميركيات زارتا ذات يوم الامبراطور غليوم وكان عَلَى ظهر يختهِ في كيل . فقالت احداهما ان شان النساء في المانيا منحط كثيراً واوضحت ذلك ببينات مستطيلة كان الامبراطور يسمعها بالانتباه التام حتى اذا فرغت من الكلام اجابها مبتسماً — اما انا فعلى راي امراتي فانها تقول لي عَلَى الدوام ليس للنساء ان يشتغلن الاَّ بار بعة امور وهي الاولاد والماكل والملبس والكنيسة . فولت السيدتان وفي نفوسها ما فيها

الغلبة

قال احد الافاضل في عيد ميلاده في السنة الثلاثين من عمره هذا كان عمر اسكندر الكبير لما تغلب على العالم اجمع اما انا فللان لم اتمكن من غلبة ذاك العالم الصغير الذي هو ذاتي

خسارة يوم

قال تيطس فسباسيانوس في يوم لم يعمل فيه خيراً لا لنفسه ولا لغيره — اه اني خسرت يوماً

عيوب الانسان

كلما نظر الانسان الى عيب في غيره أغمض عن عيبين في نفسه

شقاء الملوك

(تابع لما قبل)

فقد قلت لك اني اريد ان اكسر قيود العبودية التي أُوثقت بها . اريد ان اكون حرًّا وسا كون . ساذلل كل صعوبة وسافوز بمناي

فقال روجر اني اتمنى لجلالتك كل نجاح يامولاي وانا واثق بشدة عزيمتك واصالة رأيك

فتبسم الملك ومدّ لهُ يده فقبلها السير روجر لا كما يقبل العبيد ايدي مواليهم بل قبلها باخلاص ومحبة

ثم قال الملك لا يخفى عليك ايها السير ان في كل انسان جوهراً ليس للموت ان يتسلط عليهِ وهو ما نسميه ضميراً او روحاً او نفساً . او هو شرارة الهية تحاول الظهور الى الخارج . فاما انها تظهر بغتة في وقت من الاوقات او تنطفيء . وهذه الشرارة التي في داخلي تحاول الان ان تظهر بكل قوتها فلست امنعها لئلا تنطفيء

قال ولكني اخشى يا مولاي انك تريد المستحيل لجميع الناس حتى الملوك

فضحك الملك وقال وانت ايضاً اراك لا تفهم قدر الملوك · فما هم الاَّ كباقي الناس بل هم المضطهدون والتعساء من السلالة البشرية الكبيرة فحياتهم مهدَّدة عَلَى الدوام باخطار الخناجر والقنابل والديناميت · وليسواهم مذنبين كما يزعم الناس بل الذنب كل الذنب عَلَى السنن والشرائع الموضوعة عنهم ولهم من رعاياهم · ومع ذلك نراهم والمصائب محدقة بهم من كل جهة · فالثوَّار عَلَى الابواب والسموم في الاطعمة والهواء وغير ذلك من المكاره في سائر احوال معايشهم وحركاتهم · فاي فخر بعد هذا لمن يكون ملكاً ؟

فقال روجر ان كلام عظمتكم عن السموم قد ذكَّرني بما اتيتُ لاجله · فقد جاء منذ هنيهة المنسنيور دِل فورتيس وهو يطلب مواجهتكم حسب وعدكم اياه

قال اما انا فقد سهوت عن ذلك فهل هو هنا؟

قال نعم

قال فنحن اذاً قد اسأنا الان الى احد رجال الاكليروس لاننا اضطررناه الى الانتظار وذلك من الحوادث النادرة في تاريخ الكنيسة ولكني استغرب تذكرك اياه عند ذكري السموم · فما علاقة هذه به؟

فتبسم روجر وقال لانها ذكرتني حادثة جرت لي وانا في سن الحداثة · فقد كان بيدي في احد الايام كتاب صغير احتوى كثيراً من الصور والتزاويق ومن جملتها صورة تمثل الله بهيئة شيخ

جليل يطفح وجهه سلاماً ودعة وهو جالس على السحب · وفي اسفل الصورة كاهن بهيئة دل فورتيس الذي نحن بصدده وهو يصب السم في فم رجل هرطوقي كان جاثياً امامه · وقد اثرت في مخيلتي هذه الصورة الى حد اني لم انسها كل هذه السنين الطوال · والان كلما وقع بصري على دل فورتيس اتذكر تلك الصورة الهائلة واجزم بان هذا الرجل يخفي تحت ثوبه الاسود دماً شريراً يجول في عروقه فأنفر منه وأودُّ ان لا اراه

فلم يتمالك الملك عند سماعه ذلك ان ضحك ضحكاً عالياً وقال: فلنذهب اذاً اليه لاني اريد ان تكون حاضراً في اثناء هذه المقابلة لعلك تغير رايك بخصوصه لاني اظنهُ رجلاً فاضلاً وخطيباً مصقعاً وعضواً مهماً بين اعضاء جمعيته ولعلهُ عن قريب يصير الى درجة اسقف او نائب اسقف · ولقد عرفت الغاية التي يرومها بمجيئه الينا الان فخذ هذه الحقيبة الجلدية اذ انها تحتوي جميع الاوراق المختصة بدعواه

*

ثم نهض الملك عن كرسيه ونظر من النافذة الى البحر فراى في الافق شراعاً ابيض فوقف ثم تناول نظارة كبيرة عن المائدة فوضعها على عينيه واخذ ينظر الى جهة الشراع الذي كان يسير نحو الغرب · وبعد قليل قال لروجر — وهل ولي العهد في اليخت ؟

قال نعم يا سيدي الملك لان سموه اراد ان يزور الجزائر في هذا النهار و يبقى فيها الى غروب الشمس

قال — وهل هو وحده في اليخت؟

قال — نعم يا مولاي ما عدا القبطان والنوتية وهو على الدوام يسافر الى هناك على هذه الصورة كما لا يخفى على جلالتك

قال ان في انفراد ولي العهد على هذه الصورة ما يقلق افكاري · فلو كان مولعاً بالمطالعة او الشعر او الموسيقى لكان خيراً غير ان ولعهُ بهذه الخلوات مما يجعلني في ريبة من امره فلعلهُ محب واله ولعله يكثر التردُّد الى الجزائر لمشاهدة فتاة احبها واحبته

فدهش روجر لدى سماعه هذا الكلام وقال لم أَطَّلع على شيء من ذلك ولست اصدّق ان ولي العهد وهو بسن العشرين قد شرع يحب و يعشق

قال ان الشاب في سن العشرين يحب من لا يجوز لهُ ان يحبها · وفي سن الثلاثين يقترن بمن لا يجب ان يقترن بها · وفي سن الاربعين يرى الشريكة الوحيدة لحياتهِ · و يظل بعد ذلك الى آخر ايامهِ متاسفاً متندماً · فولي العهد الآن في الدرجة الاولى من هذه الدرجات فاما ان اكون مخطئاً برأْيي او انهُ يكون قد احب من لا يجوز لهُ ان يحبها

و بعد هذه المحادثة سار الاثنان الى ردهة الاستقبال حيث جلس

الملك الى مائدة كبيرة هناك وامر باستدعاء المنسنيور دل فورتيس

الفصل العاشر

دل فورتيس

و بعد هنيهة جاء احد الحجاب فانحنى امام الملك واعلن قدوم المنسنيور دل فورتيس وما فرغ حتى دخل هذا الكاهن وهو رجل طويل القامة نحيف الجسم غائر العينين كبير الانف لهُ من العمر نحو الستين تبدو عَلَى وجههِ ملامح المكر والخبث ٠ وكان مرتدياً حسب عادة الاكليروس بجبة سوداء ٠ فلما رآه السير روجر تعوذ بالله من شره ووقف يراقبه اشد المراقبة ٠ اما هو فلما دخل انحنى بكل احترام امام الملك ووقف ينتظر امره

فقال الملك اهلاً وسهلاً بالمنسنيور دل فورتيس ٠ اني قد عرفت السبب الذي جئتَ لاجله وقد درستُ كل ذلك درساً مستوفياً

فانحنى الكاهن مرة ثانية ولبث مصغياً

فقال الملك — انك قد اتيتني باسم جمعية الجزويت تسالني ان اهبكم بعض الاراضي الملكية التي حددتموها في رسالتكم اليَّ وقد اوفدك الان اسقف الناحية لتطلعني عَلَى تفاصيل الابنية التي ترومون تشييدها عليها ٠ فهل هذا هو السبب الذي جئتَ لاجله الآن

فلمعت عينا دل فورتيس ثم انحنى للملك وقال — ان جلالتك قد

عرفت تماماً السبب الذي جئتُ لاجلهِ · ولما كنتَ منهمكاً بشؤُون المملكة وليس لديك وقت كاف لفحص جميع الاوراق المتعلقة بهذا الامر ارتاى اسقف الناحية ان يوفدني اليك لاشرح لجلالتك جميع المنافع الروحية والمادّية التي تنجم من منحنا هذه الاراضي حيث قررنا ان نشيد ديراً مهماً

فقال الملك اما المنافع الروحية فلا اعترضكم فيها لانها موكولة اليكم واما المنافع المادية فلم افهم ما مرادكم منها وانتم اهل زهد وعبادة·· غير ان ذلك لا يهمني الان وانما يهمني ان اعرف ماذا يكون تاثيركم في سكان تلك الناحية لو افترضنا حصولكم علَى الاراضي المطلوبة · واعلم يا حضرة المنسنيور ان اول كل شيء اهتم به هو رفاهة رعيتي فاية منفعة تقدرون ان تؤدوا للاهلين بتشييدكم الدير والكنيسة والمدارس

فدهش دل فوريتس وقال مولاي ان سكان تلك الناحية على جانب عظيم من الجهل والغباوة والتوحش ونحن بسعينا الى الحصول علَى هذه الاراضي انما نريد ان نضرب خيامنا في برية جهالتهم · ولا اكتمك يا جلالة الملك ان سكان هذه الناحية نظراً لسذاجتهم وغباوتهم قد قبلوا في الآونة الاخيرة تعاليم هرطوقية جديدة لا تفيدهم الا الهلاك الابدي : نعم ان هذه التعاليم قد انتشرت الان لسوء الحظ في كل مكان · غير ان الكنيسة ستمد يدها وتجمع من تستطيع جمعهُ من هولاء

التعساء لتخرجهم من وهدة الضلال الى نور اليوم الاخير ٠٠٠

فقاطعهُ الملك بقولهِ — ولكن يوجد في تلك المقاطعة مدارس على نفقة الحكومة ومكاتب مجانية ومدرسة فنية ٠ فكيف تقول ان الاهلين في الغباوة والجهالة

فتنهد دل فورتيس وقال والهلاك هو من مثل تلك المدارس والمكاتب التي تشير اليها جلالتك ٠ فهي كشجرة معرفة الخير والشر لا تجلب للنفس الاَّ الموت

قال فاذاً انت تنتقد خطة مدارس الحكومة

قال كلا يا مولاي وليس الانتقاد من شان خدام الكنيسة المتواضعين الذين يفتخرون بالسلطة المالكة و يتسابقون الى الطاعة والانقياد لها ٠ ولكني مع هذا اذكرك ان السلطة الارضية زائلة واما السلطة الروحية اي سلطة الكنيسة فهي الباقية علَى الابد ٠ فنحن لا نقدر ان نتامل بالنجاح التام من طريقة التعليم المدني الذي لا تحل عليه بركة الله

فاستند الملك الى ظهر الكرسي ونظر طويلاً الى وجه الكاهن ثم قال — ومن اين تعلم ان بركة الله لا تحلُّ علَى مثل هذه المدارس ٠ فهل اوحي اليك بهذا او تمثلت لك روءيا سماوية نجهلها نحن ٠٠٠

قال — كلا يا سيدي الملك وانما ٠٠٠

فقاطعه الملك قائلاً — انا اعلم ماذا تريد ان تقول · انت تريد ان تقول ان كنيستكم هي الكنيسة الوحيدة المشمولة عَلَى الدوام بالنعمة الالهية الحقيقية · اما انا فاقول لك ان نعمة الله تشمل كل عمل خيري · انت تقول ان مدارس الحكومة هي مدارس عالمية محضة وانها بعيدة عن بركة الله · وانا اقول لك انك مخطىء في قولك لان المدارس العالمية كما تسميها انت هي شديدة النفع للامة وبدونها لا يتم ولا نجاح للبلاد ولا تنس يا حضرة المنسنيور ان الفكر الانساني يتقدم على الدوام في طريق النجاح والرقي · ولو ظلت الكنيسة متبعة الخطة التي رسمها لها معلمها الالهي لتقدَّمت شوطاً بعيداً ولكانت هي الباعث عَلَى هذا التقدم العقلي والادبي ولاخضعت لسلطانها جميع الامم والشعوب · ولكنها اي الكنيسة قد توقفت عن السير الى الامام لانها تجري الآن ما كانت تجريه في العصور الوسطى فهي تتهدَّد وتتوعد وتفزّع وتطرد وتضطهد كل من يجترىء ان يستخدم قوى عقله · هي لا تساعد الحضارة الحالية ولا تدعو الامم الى الاتحاد والترقي · وانا من لباب القلب اعتبر كل خادم للكنيسة يسعى للقيام بواجباته طبقاً لوصايا المسيح · ولا اكتمك ان بين رجال الكنيسة افراداً تفتخر بهم الازمنة والعصور لاياديهم البيضاء واجراآتهم الطيبة ولكنهم لسوء الحظ قليلون · هذا واعلم يا حضرة المنسنيور ان اول واجباتي الملوكية هو ان اعتني برعيتي لاني انما اقمت لاجل الاعتناء بها والمحافظة عليها · (ستاتي البقية)